فهذه واشباه كثيرة فيها لا تبقي في الامر ريباً قد بيّنها السيد مورين(Meurin) في كتابه الذي اشرنا اليه . وقد عاد كثيرون من بعده واتّسموا في هـذا البحث حتى صار الامر اجلى من النور . اطلب ايضاً كتاب الكاتب درومون (L. Drumont) في فرنسة اليهودية (La France juive) وكتاب جمعيّة القديس اوغسطين الذي عنوانهُ يهودية وماسونية (Judaïsme et Franc-maçonnerie) تجد ما يرشدك الى الصواب في ذلك وتعلم مبلغ النصارى والمسلمين من الجهل اذ ينتظمون في سلك جماعة يديرها اليهود الدّ اعداء دينهم وتسعى في تقوية العنصر اليهودي وتنفيذ المآرب اليهودية !!! (لها بقية)

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الباب الخامس

النصرانية في اليمن

فلندعنَّ طور سينا لنتحدر الى اطراف جزيرة العرب في جنوبها الشرقيّ حيث نلقى بلاداً واسعةً كثيرة الخيرات وافرة الاسباب تمتدُّ بين بحر القلزم وبحر الهند فيها السهول الرحبة المخصبة والجبال الطيبة الهواء الغنيَّة بالمعادن وبالاشجار النافعة كالكروم والبنّ والوَرْس واللُّبان او الكُندُر . فتلك البلاد سكنتها امم عديدة تزاحمت فيها وتنازعت على ملكها وتركت فيها آثاراً عظيمة من ابنيتها كهياكل وقصور اشهرها قصرا غمدان وريدان وكانت تلك الشعوب من عناصر شتّى وقبائل مختلفة منها كوشيَّة ومنها ساميَّة . وبلاد اليمن تشمل عدَّة اعمال ومخاليف كأسير وزَهرة وحضرموت والشحر ومن مدنها الشهيرة مأرب ذات السدّ قاعدة تبابعة اليمن ومن

حواضرهم ايضاً ظفار وصنعاء ونجران وزبيد وذمار وعَدَن كلها قصبات شهيرة حافلة بالسكّان دارّة المرافق. وكانت لغتها من اللغات الساميّة تُدعى بالحميريّة لها قلمٌ خاصّ يُعرف بالمُسند وجد منها الاثريّون المحدثون كتابات عديدة يرتقي بعضها الى الازمنة السابقة لتاريخ الميلاد بثمين من السنين تدلُّ على انَّ اهلها كانوا يدينون بالصابئيّة ويكرمون القوّات العلويّة والنيّرات السماويّة والسيّارات السبع وكان التملّك على اليمن في اوائل تاريخ الميلاد ملوك من حمير يتلقّبون في الكتابات المكتشفة حديثاً في جنوبي جزيرة العرب « بملوك سبإ وذي ريدان » ولمّا استولى ملوك حمير على بلاد حضرموت نحو السنة ٣٠٠ للمسيح اضافوا الى القابهم « ملوك حضرموت ويمانات » (١

لا مراء انَّ النصرانية منذ بزوغها وتّجهت انظارها الى اليمن كما يشهد عليه اقدم الكتبة الغربيين والشرقيين حتى انَّ بعض الآباء زعموا ان المجوس الثلاثة الذين سبق ترجيحنا لجنسهم العربيّ كانوا من اليمن وماتوا شهداء في صنعاء بعد ان عمّدهم القديس توما قبل سفره من عدن الى الهند (٢

ومن الرُّسل الذين يُنسب اليها التبشير بالمسيح في اليمن متى الرسول فانَّ اوريجانس في كتابه الذي ردَّ فيه على الامم ومثلهُ المؤرخ سقراط (ك ١ ف ١٥) وروفينوس في تاريخه (ك ١ ف ٩) والقديس هيرونيموس في تأليفه عن الكتبة الكنسيين ونيقيفوروس في تاريخه (ك ٢ ف ٤٠) كلهم يؤكدون بانَّ متى الرسول بشّر في جهات الحبش وادّعى المحدثون بان اسم الحبش يطلق ايضاً على اليمن وهو اسمٌ شاع عند القدماء فسمّوا به تلك الناحية لانَّ الحبشة كانوا استولوا مدّة طويلة على اليمن ولأنَّ قبائل من الحبشة كانت اجتازت من سواحل الحبش الى اليمن وهذا القول لا يخلو من الصحّة لان القدماء ربّما دعوا اهل اليمن بالحبش منذ عهد هيرودوتس واسطرابون (ك ١ ص٥١ من طبعة اوكسفورد) الّا انَّ معظم الكتبة لا يسلّمون بذلك ويزعمون انَّ القديس متى بشّر حبشة افريقية ليس عرب اليمن

---

١) اطلب دائرة العلوم الاسلامية (Encyclopédie de l'Islam, p. 383)

٢) اطلب اعمال الآباء اللاتين (Migne, P. L., XXI, 230)

وسبق لنا ذكر القديس برتلماوس ودعوتهُ للعرب فانَّ الكتبة القدماء كاوريجانوس واوسابيوس القيصري (في التاريخ الكنسي ك ١ ف ١٠) وسقراط المؤرخ زادوا على تعريفهم للعرب بقولهم انَّ الرسول برتلماوس بشَّر بالمسيح في الهند القريبة يريدون بها اليمن لانَّ اسم اليمن كان مجهولاً لديهم فسمَّوها بالهند القريبة معارضةً بالهند الشرقيَّة ما وراء البحر الهندي. ثم انَّ المؤرخ فيلوستوجيوس (ك ٢ ف ٦) وتاوفانوس في تاريخ سنة العالم (٦٠٦٤) وتاوفيلاكتوس (ك ٣) يدعون الحميريين بالهنود. وزاد بعضهم ايضاحاً فقالوا ان برتلماوس بشَّر بني سبأ. وفي الميناون المنسوب الى الملك باسيل يقال انهُ بشَّر لهنود العربيَّة السعيدة وهي اليمن كما لا يخفى

وقد رأيت آنفاً انهم ينسبون ايضاً دعوة النصرانيَّة في بلاد العرب الى القديس توما قبل سفرهِ الى الاقطار الهنديَّة. وقد ارتاى هذا الرأي القديس غريغوريوس النزيانزيّ في ميمره عن الرسل. ومثلهُ تاودوريطس في كتابهِ عن الاناجيل (ك ٩) وبعض كتبة السريان

ومن الشواهد الجليلة التي توقفنا على دخول النصرانيَّة في اليمن منذ القرون الاولى لتاريخ الميلاد ما رواه اوسابيوس القيصري (ك ٥ ف ١٠) ومثلهُ هيرونيموس (Hieron., de vir, illustr. c. 36) عن احد العلماء الاسكندريين في النصف الثاني من القرن الثاني للمسيح: ألا وهو پنتانوس الفيلسوف فانَّ هذا كان من الفلاسفة الرواقيين جيد الوثنيَّة وتذخر وعهد اليه دمتريوس اسقف الاسكندريَّة التدريس في مدرسة الاسكندريَّة ففعل واحرز لهُ شهرةً واسعةً بالتعليم الديني وعنهُ اخذ اوريجانوس المعلم الكبير فپنتانوس المذكور نحو السنة ١٨٣ للمسيح تنزَّل عن التدريس وسافر الى الهند ليبشر فيها بالدين النصرانيّ. وقد اتفق المؤرخون على انَّ الهند المقصودة هنا هي المجاورة لمصر اعني بلاد اليمن كما سبق

قال اوسابيوس: « فبلغ پنتانوس تلك الجهات ودعا الى النصرانيَّة اهلها فاوقفوهُ على انجيل مخطوط بالعبرانيَّة (١ للقديس متى كان اتى بهِ اليهم القديس

---

(١) يراد بالعبرانية اللغة الفلسطينيَّة التي كانت شائعة في ايَّام السيد المسيح وهي من فروع الاراميَّة

برتلماوس الرسول واودعهُ عندهم » وفي هذا القول شهادة على ما سبق بالدعوة النصرانيَّة في جهات اليمن منذ عهد الرسل

هل كان لدعوة پنتانوس في اليمن تأثير في اهل تلك البلاد ؟ ذلك امر لا يمكن القطع بهِ وانما هو محتمل بل مرجَّح ففي وجودهِ بين القوم انجيلاً قديماً دليل على ان النصرانية التي بشَّر بها برتلماوس الرسول لم تمت بينهم . ويؤخذ من رواية اوسابيوس انَّ الاستاذ الاسكندري عاد الى وطنهِ راضياً شاكراً لم يذهب تعبهُ سُدًى . ولعلَّهُ لم ينسَ اولئك الموعوظين فأمدَّهم برسلين يجاورونهُ في عملهِ . وكما هاجر بعض النصارى المصريين في زمن الاضطهادات الى جهات سينا وبادية الشام على ما روى المؤرخون يجوز القول ايضاً بانَّ قوماً منهم هاجروا الى اليمن لا سيما في عهد دقيوس وديوقلطيانوس فنشروا دينهم فيما بينهم

ومما يُستدل اليهِ من تواريخ العرب كالطبريّ وسيرة الرسول لابن هشام والمسعوديّ وغيرهم انَّ النصرانية واليهودية اخذتا في النزاع والمخاصمة منذ اواسط القرن الثالث للمسيح . وبلغ الخصام الى اعيان الدولة وملوكها . فيخبرون ان التبَّع اسعد ابا كرب تهوَّد على يد رَبانيَّين من يثرب وحمل اهل رعيَّتهِ على التهوُّد وتبعهُ في امرهِ بعض اولادهِ بعدهُ لكنَّ النصرانيَّة فازت في عهد عبد كلال بن مثوَّب

وقيل ان عبد كلال المذكور ملك في القسم الثاني من القرن الثالث (١ منذ نحو السنة ٢٧٣ للمسيح الى ٢٩٧ وقد جعل حمزة الاصفهاني ملكهُ (ف ١٣١ طبعة بطرسبرج) اربعاً وسبعين سنة . وقد اتفق المؤرخون على تدينهِ بالنصرانيَّة . جاء في القصيدة الحميريَّة

ام أين عبد كُلالٍ الماضي على دين المسيح الطاهر المسَّاحِ

وقال الطبريّ في تاريخهِ (طبعة ليدن ج ١ ص ٨٨١) :

وملك بعد عمرو بن تبع عبدُ كُلال بن مثوَّب . . . فاخذ الملكَ عبد كُلال . . . وولية بسنّ وتجربة وسياسة حسنة وكان فيما ذكروا على دين النصرانية الاولى وكان يسرّ ذلك من قومهِ وكان الذي دعاه اليهِ رجلٌ من غسَّان قدم عليهِ من الشام فوثبت حمير بالغسَّاني فقتلهُ

---

١) اطلب تاريخ العرب لكوسان دي پرسڤال (C. de Perceval: *Essai sur l'Hist. des Arabes*, I, 107)

ثمَّ عاد من بعده عبد كلال الى اليهوديَّة اخلافهُ . هذا ما يُستخلص من تواريخ العرب الَّا انَّ هـذه التواريخ سقيمة جدًا ولاسيما تاريخ حمير . قال حمزة الاصفهاني (ص ١٣٤) : « ليس في جميع التواريخ لسقم ولا اخلّ من تاريخ الاقيـال ملوك حمير »

ومما وجد من الكتابات الحجرية الحميرية في اواسط القرن الماضي (CISI. 6) كتابة فيها اسم عبد كلال وامرأته ابعلي وولديه هني وهعلل نقشوها تذكارًا لبناية دار يدعونها « يرث » شيَّدوها « يرضى الرحمان » وذلك في شهر ذي خرف من السنة (الحميريَّة) ٥٧٣ الموافقة للسنة المسيحيَّة ٤٥٨ . فذكرُ الرحمان من الادلة على توحيده او نصرانيَّته

ومن الآثار التاريخيَّة اليونانيَّة عن نفوذ النصرانيَّة في اليمن ما رواه المؤرخ الاريوسي فيلوستورجيوس من كتبة القرن الرابع واوائل الخامس . فكان هـذا من قبّاذوقية وكتب تاريخًا في اثني عشر كتابًا دافع فيه عن اعمال الاريوسيين مباشرة من السنة ٣٠٠ الى ٤٢٥ وتاريخهُ مفقود الَّا ما نقلهُ عنهُ فوطيوس البطريرك القسطنطيني في مكتبته يبلغ نحو ثمانين صفحة (١ ومما رُوي هناك (٢ ان الامبراطور قنسطنسيوس ابن قسطنطين الكبير المتشيِّع للاريوسيَّة ارسل نحو السنة ٣٥٦ وفدًا من الرومان الى الحميريين في اليمن وكان يترأس الوفد تاوفيل الهندي من جزيرة سرنديب اي سيلان . فرحل هذا الى بلادهم ودخل على الملك وقدَّم لهُ الطافًا وهدايا فنال لديه الحظوى وبشَّر هناك بالدين المسيحي واسترخص بتشييد الكنائس بل جادل اليهود الذين وجدهم في بلاط الملك واقنع الملك بالحجج الدامغة عن صحة النصرانيَّة حتى نصَّرهُ . وشيَّد تاوفيل ثلاث كنائس : الاولى في حاضرتهم ظفار والثانية في عَدَن على ساحل الاوقيانوس (الهندي) حيث كان ينزل الرومان للمتاجرة والثالثة في فرضة عند مدخل خليج العجم يظنونها هرمز وعيَّن للمتنصرين رئيسًا ثم رحل . هذا ما رواه فيلستورجيوس الَّا انَّ تشيُّعهُ للاريوسيَّة حدا به الى القول انَّ النصرانيَّة لم تدخل بلاد العرب قبلهُ والامر على خلاف ذلك كما رأيت . والمؤرخون يرون انَّ

١) اعمال الآباء اليونان (Migne, P. G., LXV, col. 459-637)
٢) فيه (Ibid. 482-485)

الاسقف الذي امضى اعمال مجمع نيقية سنة ٣٢٥ باسم « يوحنا اسقف الهند » انما كان اسقفاً على اليمن وقد سبق انَّ اسم الهند كثيراً ما أُطلق على اليمن . وكذلك قد بيَّن العلَّامة المستشرق السنيور ك . روسيني (١ انَّ الملك قسطنسيوس لم يقصد بوفده الى ملك حمير امراً دينيًّا محضاً وانما اراد ان ينهج للرومان طريقاً تجاريَّة في البحر الى اليمن ويعقد محالفةً مع الحميريين ضدَّ الفرس وملكهم سابور الثاني . اما اسم الملك المتنصِّر على يد تارفيل في اليمن فلم يذكرهُ المؤرخ فيلستورجيوس ولعلهُ مرثد بن عبد كلال المالك على ما يظنُّ من السنة ٣٣٠ الى ٣٥٠ وقد اطرأ الثعالبيّ في طبقات الملوك حلمهُ وحبهُ للفقراء وحكمتهُ وتساهلهُ وقال عنهُ انهُ لم يشأ ان يقلق رعاياه بسبب دينهم . او هو وليعة بن مرثد الذي تعصب اوَّلاً لليهوديَّة ثمَّ عدل الى النصرانيَّة . وقد جاء للفيروزابادي ما يؤيد نصرانيَّة هؤلاء الملوك حيث قال « انَّ كثيراً من ملوك اليمن والحيرة تنصَّروا »

ومما يشهد على ثبات المعاهدة التجارية المبرمة بين الرومان والعرب قانون سنَّهُ تاردوسيوس الكبير في تلك الاثناء نظَّم فيهِ امور الوفود الراحلين الى الحميريين والحبشة من الاسكندريَّة (٢

ومن الشهود على نفوذ النصرانيَّة في اليمن القديس هيرونيموس فانهُ غير مرَّة ذكر بين المتنصرين اهل الهند والحبشة . من ذلك رسالتهُ الى مارسلَّا الرومانيَّة (Migne P.L.,XXII. 489) حيث يعدِّد فئات المتقاطرين لزيارة الاراضي المقدَّسة وكلهم على ايمان واحد ممَّن كان يشاهدهم ويحادثهم فجعل في مقدَّمتهم العجم والارمن وعرب اليمن الذين دعاهم باهل الهند والحبشة . وكذلك كرَّر قولهُ في رسالتهِ الى السيدة ليتا (Ibid., XXII. 875) وخصَّ بالذكر « رهبان الهند » اي اليمن كما قلنا

وفي ترجمة القديس سمعان العمودي التي كتبها تاردوريطس في القرن الخامس قد ذكر غير مرَّة بين الذين قصدوا القديس على عموده عرب حمير وقد رآهم تاردوريطس

(١ اطلب اعمال اكادمية لينشاي (Rendiconti d. reale Accademia dei Lincei, *Aprile*, 1911, p. 715)

(٢ اطلب الدستور التيودوسي (Code Theodosien IV, p. 616, *de legatis* l. XII, tit. XII, 2)

عياناً قال (Migne P. G., LXXIV. 104) « ولا يتزاحم حول سمعان اهل بلادنا فقط بل يأتيه جموع من الاسماعيليين والعجم والارمن والكرج والحميريين » وكذلك كتب انطونيوس تلميذ القديس (Ibid., LXXXII, 328): « قد نصّر سمعان العمودي اتماً عديدة من الشرقيين (السراكنة) والعجم والارمن والاسكوتيين وذوي القبائل ». وقد صرّح باسم تلك القبائل قدوتوس المؤلف فقال انهم « الحميريون »

ثمّ انّ النصرانيّة لم تدخل فقط الى اليمن من جهة الجنوب ومن بلاد الرومان ولكن نفذت اليها من جهات الشمال وخصوصاً من العراق فمن المعلوم انّ ملوك الفرس كانوا يسعون في مخالفة ملوك اليمن ويتقرّبون الى اهلها ليستعينوا بهم على ردّ غارات الرومان. وكذلك ملوك اليمن والحبشة ربّما اوفدوا الوفود الى ملوك العجم ليبرموا معهم المعاهدات كما روى المؤرخون (١

وكانت القوافل تسير ذهاباً وايباباً من العراق الى اليمن ومن اليمن الى العراق فالنصرانيّة التي كانت بلغت في الشمال مبلغاً عجيباً ما كانت لتهمل هذه الوسائط لنشر الدين المسيحي في الجنوب. ومن التقاليد الشائعة عند الكلدان ان رسولَي الكلدان الاوّلين اذي وماري سارا ايضاً الى بلاد العرب سكّان الخيم والى نجران وجزائر بحر اليمن (٢

وجاء في المصحف الناموسي (ص ١٨): « وبشّر الجزيرة والموصل وارض السواد كلها وما يليها من ارض التيمن كلها وبلاد العرب سكّان الخيم والى ناحية نجران والجزائر التي في بحر اليمن ماري الذي من السبعين ». والى هذه البشارة في اليمن اشار القديس افرام في القرن الرابع حيث قال في احد مياسره : « جاءت ملكة التيمن (سبأ) الى سليمان ونالت من نوره شعلةً استضاءت بها وبقيت تلك الشرارة مخبوّة تحت الرماد الى ان ظهرت شمس العدل السيد المسيح فاتقدت تلك الشرارة حتى اصبحت نجماً زاهراً ينير اليوم تلك الانحاء. »

---

١) اطلب منشورات لند السريانية (Land: *Anecdota Syriaca*, II, 76 et seqq)

٢) اطلب كتابي فطاركة كرسي المشرق لسليمان بن ماري (طبعة رومية ص ٢) والمجدل لمسرو بن متى الطيرهاني (ص ١)

وما لا ينكر ان النساطرة كانوا انتشروا في تلك البلاد قبل الاسلام وانشأوا عدّة كنائس وكان لهم فيها اساقفة اتوها من قبل جاثليق المشرق اصحاب كرسي المدائن وبقوا فيها بعد الاسلام مدّة كما سترى. وقد ارتأى العلّامة دي ساسي في احدى مقالاته (١ انّ نصارى الشمال من اهل العراق كانوا يتردّدون الى اليمن وانّهم ادخلوا بين اخوانهم في الدين الكتابة السريانيّة بدلًا من الخطّ المسند الشائع هناك قبلهم. وقد روى السمعاني في المكتبة الشرقيّة (Assemani,BO,III¹, 603) انّ اللغة السريانيّة كانت دخلت في جهات عديدة من اليمن. وكذلك ذكر المؤرخ فيلستورجيوس انّ في زمانه كانت مستعمرات اخرى سوريّة احتلّت سواحل افريقية بازاء بلاد العرب وانّ اصحابها كانوا يتكلمون بالسريانيّة. وقد جاء في كتاب كشف الاسرار في بيان قواعد الاقلام الكوفيّة « ان القلم الكوفي كان يُدعى بالسوري » ولعلهُ اراد بذلك شبههُ بالقلم السرياني. وقال هناك انّ آل « طسم وقحطان وحمير » كانوا يكتبون به

*

ومن اعظم الشواهد التي اثبتها العرب على دخول النصرانيّة في اليمن ما رواهُ الطبريّ في تاريخهِ (٢ وياقوت في معجم البلدان (٤ : ٧٥٢) وابن خلدون في كتاب العبر (٢ : ٥٩) وابن هشام في سيرة الرسول (ص ٢٠) وغيرهم انّ اهل نجران وهي من امّهات مدن اليمن تنصّروا جميعهم. وقد ذكروا الخبر في كلام طويل خلاصتهُ انّ رجلًا من بقيّة اصحاب الحواريين « يقال له فيمون وقالوا قيمون وقالوا ميمون (٣ من افضل الناس عبدةً واعرقهم في اعمال الصلاح كان سائحًا تجري على يديهِ الكرامات والمعجزات وصل في سياحته الى بلاد غسّان فنبههُ رجلٌ من اهل الشام اسمهُ صالح فتوغّلا في بلاد العرب ثم اختطفتهما سيّارة وباعوهما بنجران واهلها حينئذٍ من بني الحارث بن كعب المنتمين الى كهلان يعبدون العزّى على صورة النخلة

(١ اطلب (Mémoires des Inscript. et Belles-Lettres, t. 50, p. 266)

(٢ اطلب تاريخهُ (طبعة ليدن) ج ١ ص ٩١٨

(٣ وفي تاريخ فطاركة المشرق لسليمان بن ماري (ص ٢٢) انهُ كان يُدعى حيّان كان اصلهُ من نجران تنصّر في الحيرة وعاد الى وطنهِ فتنصّر على يدهِ خلقٌ من حمير والحبشة

فاوقف فيميون سيِّدهُ على بطلان الشرك بما صنع لديهِ من الآيات ولا سيما اذ دعا ربَّهُ في يوم عيد العزَّى فارسل الله ريحاً جعف النخلة من اصلها فعرف اهل نجران صحة دينهِ ودانوا بدين المسيح. وجعل فيميون عليهم رئيساً احد اشراف المدينة عبدالله بن الثامر ورعاهم اسقفٌ كان يُدعى بولس

واقام اهل نجران على دين المسيح حتى دعاهم الى اليهوديَّة احد ملوكهم اسمهُ ذو نوَّاس كان متعصباً لدين اليهود فأبى النجرانيون اتباعهُ في ضلالهِ وكان رئيسهم اذ ذاك أُسْقُفُهُ الحارث واستعدُّوا للدفاع عن دينهم الَّا انَّ ذا نوَّاس دخلهُ بالمكر وحفر اخاديد (اشار اليها في القرآن) اضرمها ناراً وألقى فيها على ما روى ابن اسحاق عشرين الفاً من النصارى او يزيدون ماتوا في سبيل ايمانهم مع الحارث رئيسهم

على انَّ الخبر لم يلبث ان نما الى قيصر الروم بواسطة رجل من اهل نجران فرَّ هارباً يُدعى دوس ذو ثعلبان فاستنصرهُ على ذي نوَّاس فامر القيصر النجاشيَّ أَلِصْبان ملك الحبشة بمحاربة اليهودي ففعل وارسل جيشاً مع ارياط وابرهة الاشرم فناجزوهُ القتال وظفروا ببلادهِ ومات الطاغية غرقاً. وتمَّ الحبشة فتح اليمن فملكوا عليها اثنتين وسبعين سنة كان اوَّل ملكهم ارياط (٥٢٥) ثم ابرهة الاشرم (٥٣٧ — ٥٧٠) ثمَّ ابنهُ يكسوم (٥٧٠ — ٥٧٢) ثمَّ مسروق (٥٧٢ — ٥٧٥). اما الملوك الحميريُّون فبعد موت ذي نوَّاس حاول احدهم السَّمَيْ ذو جدن ان يضبط زمام الملك لكنهُ قُتل في حرب الحبشة ولم يعودوا الى الملك الَّا في زمن سيف ابن ذي يزن الذي استعان بالفرس واخرج الحبش من اليمن وملك هو وابنهُ معدي كرب. ثمَّ انَّ الفرس لم يلبثوا ان عدُّوا سيطرتهم على تلك البلاد وجعلوا عليها عُمَّالاً كان اوَّلهم وهرز (٥٩٧) ثمَّ بَذان وفي زمنهِ فتح المسلمون نواحي اليمن

هذا ملخَّص ما جاء في تواريخ المسلمين وقد ايَّدتهُ في امورهِ الجوهريَّة التواريخ اليونانيَّة والسريانيَّة كتاريخ الحرب الفارسية لبروكوبيوس الغزي Procop., de Bello Pers. I, c. 20) وتاريخ يوحنَّا المعروف باسقف آسية (Assemani, BO, II, 83) وتاريخ تاوفانوس (ج ١ ص ٣٤٦ من طبعة بونَّا) وتاريخ يوحنَّا ملالا (ص ٤٣٤ من الطبعة عينها) فكلُّ هؤلاء ذكروا امور الحبشة وما جرى من الحروب بين ملكها وملك حمير اليهودي بسبب قتلهِ لنصارى نجران. وفي رواياتهم بعض افادات

عن ذي نوَّاس الـذي يدعونهُ دمنوس او دميانوس وعن القيصر يوستينوس الذي انتصر للمظلومين وبعث الحبشة لمحاربة ملك اليمن . وكان على الحبشة ملك يدعونهُ أليباوس (Elesbaas) او أَلْصبان وصفهُ غيرهم باليستاوس من احكم الملوك واعرقهم في الدين النصرانيّ . وهم يقولون انَّ اسقف نجران المدعو بولس كان توفي قبل هجوم ذي نوَّاس عليها وانَّ الملك اليهودي بعد ظفرهِ بنجران انتهك حرمة قبرهِ

امَّا استشهاد اهل نجران على عهد ذي نوَّاس فقد وصفهُ المعاصرون منهم شمعون اسقف بيت ارشام الذي سمع في العراق الخبر من شهود عيانيين فدوَّنهُ في رسالة نشرها السمعانيّ في المكتبة الشرقيَّة (BO, I, 364-79) وكذلك ليعقوب الرهاوي فيهم ميمر نشرهُ الاب بيجـان (Acta Martyrum I. 372-97) ثمَّ نشر البولنديُّون اعمالهم في اليونانيَّة عن نسخة قديمة في تاريخ ٢٤ ت ١ (Act. SS. X, Oct. 750 — 780) وفي مكتبتنا الشرقيَّة نسخة عربيَّة من هذه الاعمال نقلناها عن مخطوط قديم

ومن الآثار الكتابيَّـة التي نُشرت حديثاً وانتنا بفوائد جديدة عن دخول النصرانيَّة في نجران اعمال القديس « ازقير » بالحبشيَّة من مخطوطات خزانة الكتب الشرقيَّة في لندن فنشرها لاوَّل مرَّة الاستاذ الايطالي الفضـال كنتي روسّيني (١ وخلاصتها انَّ « ازقير » كان كاهناً نصرانياً دعا الى دينهِ اهـل نجران فامر الملك شرحبيل بن ينكف بحبسهِ لكنهُ نجا من الحبس وعمَّد كثيرين وتبعهُ رجلٌ يدعونهُ قرياقوس واجتمعت عليهِ اليهود فقتَّل اقوالهم جهارًا وقُتل عليهِ آخرًا بقطع الرأس مع ٣٨ آخرين وعيدهُ في الكالندار الحبشي واقع في ٢٤ من شهر خدار (٢٠ ت ٢)

فكلّ هـذه الآثار بيَّنت انتشار النصرانيَّة في اليمن . ولم يزدها اضطهاد ذي نوَّاس واليهود الَّا نموًّا لانَّ ملك الروم ونجاشي الحبش القديس أَلصبان مـا فتئا ان ارسلا جنودًا الى اليمن انتقمت للمظلومين وكسرت شوكة اليهود في تلك الانحاء

وقد اتتنا في هذه الحقبة الاخيرة شواهد جديدة غير منتظرة ألا وهي كتابات يونانيَّة وحبشيَّة وحميريَّة اكتشفها الاثريُّون وهي تبيّن ما كان من النفوذ للحبشة في

(١ اطلب مجلة ليتشاي Rendic. d. reale Accad. d. Lincei 1910, ser, V. vol. XIX p. 705-750 ويظن الكاتب انَّ ازقير هذا هو فيمون والله اعلم

بلاد اليمن . فاليونانية اكتشفها في اكسوم الرحّالة الانكليزي هنري سَلت (H. Salt) كتبها « أيزن ملك اكسوم والحميريين وريدان والحبش والصابئة وزيلع وتهامة وبغيث وتوقال ملك الملوك ابن الاله المريخ غير المغلوب » يصف فيها انتصاره على اعدائه البغيثيين . وتاريخ هذه الكتابة اواسط القرن الرابع يظهر منها انّ ملوك الحبشة الوثنيين كانوا استولوا مدّة على اليمن والحميريين

ومن الكتابات الحبشيّة كتابة وقف عليها المرسل الايطالي يوسف سابيتو (G. Sapeto) في اكسوم ايضاً ثمّ نشرها وفسّرها وهي للملك النصراني « تازينا ابن الاعميدا ملك اكسوم وحمير وريدان وسبا الخ » افتتحها بذكر الاسم الكريم « خالق السماء والارض الرب الازلي » . وكان تازينا المذكور ملكاً نحو السنة ٥٠٠ ومن كلامه يظهر انّ ملوك الحبشة لم يزالوا باسطين سيطرتهم على الحميريين . ولا غرو انّ نصرانيّتهم أثرت بدين الحميريين الوثنيين واجتذبت منهم قوماً الى المسيحيّة

امّا الكتابات الحميريّة فاعظم شأناً واخطر بياناً لتاريخ النصرانيّة اكتشفها في انحاء اليمن رجالٌ ذوو حزم لا يهابون الاخطار دخلوا في هذه السنين الاخيرة الى اقاصي اليمن ونقلوا ما كانوا يراقبونهُ من الكتابات الحميريّة الكاشفة لاسرار التاريخ اليمني . اشهرهم العلماء يوسف هالوي (G. Halévy) وادورد گلازر (Ed Glaser) فأتوا من اليمن بنيّفات من الآثار الكتابيّة بينها كتابات حميريّة تفضّل محاربة الحبشة لذي نوّاس وظفرهم باليمن . وتاريخ هذه الكتابات هو تاريخ حمير الواقع سنة ١١٥ للمسيح . فمن جملة تلك الآثار التاريخيّة كتابة تنسب الى حصن الغراب وجدها گلازر (١ فنشرها وهي « لسيفع اشوع » (٢ اقامها في ذي الحجة سنة ٦٤٠ (اي ٥٢٥ للمسيح) تذكاراً لدخول الحبشة في بلاد حمير بعد انتصارهم على ملكها (ذي نوّاس)

ومنها كتابة اخرى تاريخها سنة ٦٥٧ و٦٥٨ (اي ٥٤٢ — ٥٤٣) ورد فيها ذكر انفجار سدّ مأرب وهو من اجلّ الحوادث التاريخيّة كان العلماء يرقّونهُ استناداً الى مؤرخي العرب الى القرن الثاني للمسيح فثبت الآن انهُ جرى في اواسط القرن

١) اطلب كتابهُ الحبشة في بلاد العرب وفي افريقية (E. Glaser: *Die Abessinier in Arabien u. Afrika*, p. 131)

٢) هذا الاسم صحفهُ اليونان باميفاوس

السادس. والكتابة قد نُقرت في الصخر بامر ابرهة الملك الحبشي اوّلها: « بقوّة ونعمة ورحمة الرحمان ومسيحه وروحه القدوس قد امر برسم هذه الكتابة ابرهة الحاكم (على اليمن) باسم الملك الكبير (الحبشي) وعبس ذو بي يمن ملك سبا وذي ريدان وحضرموت وعمانات والعرب الذين في الجبال والسهول ». ومما قال هناك: « ونحن على ذلك اذ بلغنا خبر تهدُّم السدّ والخزّان والحوض والمصرف في شهر ذي المدرح سنة ٦٥٧ ... » ثمّ اردف ابرهة قوله: « فارسلت الى القبائل لتنفذ الحجارة والاخشاب والرصاص لترميم السدّ في مأرب ... ثم توجّهتُ الى يحأرب وبعد ان صلّيتُ في كنيستها عمدتُ الى ترميم السدّ فعزلوا الانقاض حتى وصلوا الى الصخر وبنوا عليه » ثمّ يذكر تأخّر العمل لسأم بعض القبائل عن الشغل وكيف حالف ابرهة اقيال اليمن وقابل وفود ملوك الروم وفارس والحيرة (المنذر) وغسّان (الحارث بن جبلة وابي كرب بن جبلة) وغير ذلك ممّا يفيدنا علماً عن اخبار العرب وفوز ابرهة بقبائلهم سنة ٦٥٧ للحبش (٥٤٢ م). ثمّ عاد الى وصف ترميم سدّ مأرب فقال: « فرمّموهُ ووسعوهُ حتى بلغ طولهُ ٤٥ ذراعاً وارتفاعهُ ٣٥ ذراعاً » ثمّ فصل هناك ما اتفق على العمل من الحجارة والاطعمة للعملة الى ان ختم الكتابة بقوله انّهم « انتهوا من العمل في شهر ذي معان سنة ٦٥٨ (٥٤٣) (١) »

ولعلّ هذا السدّ كان انفجر قبل ذلك غير مرّة ورُمم الّا انّ اخبار العرب تنطبق خصوصاً على هذا الحادث الاخير. وانما خلطوا في اقوالهم خلطاً عجيباً وكفى بهِ استدلالاً على ضعف رواياتهم التاريخيّة التي لا يمكن التسليم بصحتها الّا بعد النقد والنظر الملي

لا غرو انّ النصرانيّة في مدّة ملك الحبشة على اليمن بلغت اقصى النجاح والتقدُّم. لنا على ذلك شواهد تاريخيّة عديدة وكان اوّل ما باشر بهِ الحبش ان جعلوا نجران كعبة الدين النصراني بعد ان تشرفت بدماء اهلها الشهداء. فاقاموا فيها مزاراً كان العرب يقصدونهُ من كلّ صوب وكانوا انفقوا عليهِ القناطير المقنطرة ليزينوهُ بانواع

(١) اطلب كتاب مردتمان في الكتابات الحميرية (Mordtmann: *Himjar. Inschriften*, Berlin 1893) وكتاب مولّر في مدن اليمن وقصورها (Müller: *Burgen u. Schlosser*, Wien 1881)

الحليّ . وهذا المزار قد شاع ذكرهُ عند العرب فدعوهُ «كعبة نجران» او «كعبة اليمن» وضربوا بحسنها المثل واليها اشار الاعشى في بعض ابياتهِ حيث قال يكلم ناقتهُ :

وكعبة نجرانَ حنَّ عليكِ حتى تُناخيَ بأبوابها
تزورُ يزيدًا وعبد المسيـ ـح وقيسًا هم خيرُ اربابها
اذا الجبرات تلوَّتْ جم وجرُّوا السلاسلَ هدَّابها

يريد بني عبد المدان الذين كانوا يتولون امرها وهم من اعيان بني الحارث بن كعب واعرق الناس في النصرانيَّة . وممَّن طبَّقت اخبارهُ اقاصي العرب في ذاك الوقت خطيب مصقع ضربت العرب المثل في بلاغتهِ يزيد القسّ بن ساعدة اسقف نجران وقد جمنا في شعراء النصرانيَّة (ص ٢١١ — ٢١٩) ما رواهُ الكتبة العرب عنهُ وعن يزيد بن عبد المدان النجرانيّ (ص ٨٠ — ٨٨)

ومما يعود فضلهُ الى الحبشة كنيسة عظيمة جمعوا فيها ضروب المحاسن وانفقوا عليها المبالغ الطائلة بنوها في حاضرة ملكهم صنعاء لا تزال حتى اليوم تُرى بقاياها في جامع هذه المدينة وكانوا زيَّنوها بكلّ اصناف الزين والتصاوير وضروب الفسيفساء وهي الكنيسة التي عرفها العرب بالقُلَيس (١ وذكروها في تواريخهم ووصفوها في كتبهم (اطلب مجموعنا مجاني الادب ج ٣ ص ٣٠٢ وكتاب الاغاني ٢ : ٧٥) فما لبثت ان جذبت اليها الجماهير المجمهرة حتى نسي الوثنيون قصر غمدان القريب منها واصنامهُ الصابئيَّة

وكما فعلوا في صنعاء اقاموا ايضاً في ظفار كنيسة اخرى جليلة كانت آية في الحسن والجمال . وكان المتولي تدبير هذه الكنيسة اسقف شهير يدعى جرجنسيوس اتخذهُ ملك الحبشة كستاشار ومساعد لتنصير الحميريين فما آلى جهداً في ذلك وقد ترك لنا من آثارهِ كتاب شرائع الحميريين وترجمتهُ اليونانيَّة تُرى في مجموع الآباء اليونان لمين (Migne, P. G., T. 86, col. 567-620) وكان يجادل اليهود ويردّ على مزاعمهم ولهُ جدال مع هربان الرَّباني صبر ايضاً على آفات الدهر باليونانيَّة (Ibid., col. 621-783) ولدينا منهُ ترجمة عربيَّة (لها بقية)

١) القليس مشتقَّة من اليونانيَّة (Ἐκκλησία) ومعناها الكنيسة